

الدراسة التطبيقية لتفسير محمد مكين

An Applied Study of Muhammad Makin's Interpretation

م. هدى سليم رسول

الجامعة المستنصرية/ كلية التربية الاساسية/ قسم التربية الإسلامية

Huda.edbs@uomustansiriyah.edu.iq

المستخلص

ولم يأل العلماء المسلمون في الصين جهداً في سبيل بيان معاني القرآن وتفسيره، فجاءت جهودهم في تراجم المعاني القرآن وتفسير له باللغة الصينية، منها السليمة ومنها السقيمة، ولكنها لم تنل ما ينبغي لها من العناية من قبل الباحثين المسلمين في الصين. يعد تفسير محمد مكيين الذي من أسلم التفاسير باللغة الصينية، وسأدرسه من خلال مبحثين: الأول أتحدث فيه عن هذا التفسير من حيث كتابته ومصادره مع ذكر النماذج منه، والثاني أبين فيه منهجه في التفسير.

Abstract:

Muslim scholars in China have spared no effort in clarifying and interpreting the meanings of the Qur'an. Their efforts have included translations of Qur'anic meanings and interpretations in the Chinese language, some of which are sound and some of which are flawed. However, they have not received the attention they should have from Muslim researchers in China. Muhammad Makin's interpretation is considered one of the most authentic interpretations in the Chinese language, and I will examine it in two sections: the first discusses this interpretation in terms of its writing and sources, citing examples from it, and the second explains his method of interpretation.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي أنزل القرآن على رسوله الكريم بلسان عربي مبين ليبشر به المؤمنين وينذر به الكافرين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيد المرسلين نبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فإن القرآن الكريم دستور الأمة الإسلامية، فيه أركان الإيمان، وأحكام العبادات، والقيم الأخلاقية، ومبادئ المعاملات، وأخبار السابقين، وقيض الله تعالى لهذا القرآن من كل جيل من المسلمين من يبين هذه الأركان والأحكام ومن يكشف تلك القيم والمبادئ من المفسرين بذلوا في سبيل بيانه أقصى جهودهم حتى زخرت المكتبات الإسلامية بجهودهم الجبارة من المؤلفات النافعة والمصنفات الباهرة، بحيث صارت تحتل مكان الصدارة في المكتبات الإسلامية الفياضة. ولم يأل العلماء المسلمون في الصين جهداً في سبيل بيان معاني القرآن وتفسيره، فجاءت جهودهم في تراجم المعاني القرآن وتفسير له باللغة الصينية، منها السليمة ومنها السقيمة، ولكنها لم تنل ما ينبغي لها من العناية من قبل الباحثين المسلمين في الصين، حيث سلط من قام منهم بدراسة هذه التفاسير على محاسنها من حيث أساليب التعبير واختيار الألفاظ وغير ذلك، ولم يتطرقوا إلى المآخذ عليها، من الأفكار السيئة والاعتقادات الباطلة والاتجاهات المنحرفة والمناهج غير السليمة، وذلك لأنها ليست محل اهتمامهم، أو لعدم تمكنهم من كشفها بسبب الضغوطات المختلفة، وكذلك لم تنل حظاً من العناية من قبل العلماء في عالم العرب، وذلك لوجود العائقة اللغوية التي تمنعهم من الاطلاع عليها، وهي سبب رئيس، أو لقلة اهتمامهم بها.

وقد من الله تعالى على بدراسة تفسير القرآن الكريم وعلومه، وتعرفت من خلال هذه الدراسة على مناهج المفسرين المتفاوتة واتجاهاتهم المختلفة وأمّهات التفاسير وأصول التفسير، فلما رجعت إلى التفاسير باللغة الصينية، تبينت أنها تحتاج إلى دراسة تكشف حقيقتها، وخاصة مأخذها وهي تتمثل في الأخطاء المنهجية والفكرية، فساغ لي اختيار الموضوع «الدراسة التطبيقية لتفسير محمد مكين»

ويعد تفسير محمد مكين الذي من أسلم التفاسير باللغة الصينية، وسأدرسه من خلال مبحثين: الأول أتحدث فيه عن هذا التفسير من حيث كتابته ومصادره مع ذكر النماذج منه، والثاني أبين فيه منهجه في التفسير.

المبحث الأول

التعريف بتفسير محمد مكي

إن ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الصينية عاجزة عن الوفاء بجميع معاني آيات القرآن، لما بين اللغتين من الاختلاف في الأسلوب والتركيب، والخصائص التي تنفرد بها إحداهما عن الأخرى، ولتعدد معاني آيات القرآن، ومحمد مكي كان على علم بذلك، فوضع على ترجمته حواشي بين فيها ما قد يشكل فهمه على القارئ سعياً لوضع ترجمة معاني القرآن بين أيدي المسلمين في الصين بأكبر قدر ممكن من الوضوح، وسأتناول في هذا المبحث التعريف بعمله هذا. لما عاد محمد مكي من مصر بعد إتمام دراسته عام ١٩٣٩م، كلفته لجنة الترجمة المعاني القرآن بمدينة شانغ خاي بأن يساعد (وو ته قونغ) و (شا شان يو) على ترجمة معاني القرآن إلى اللغة الصينية القديمة، وكان يعتقد أن القرآن واضح على العرب معنى وأسلوباً، فلا بد أن تكون ترجمته واضحة على عامة القراء، فقام بترجمته إلى اللغة الصينية الحديثة في حين كان يساعدهما في ترجمته إلى اللغة الصينية القديمة، التي تصعب قراءتها وفهمها على عامة القراء، وأتم ترجمة تسعة أجزاء بعد أربعة عشر شهراً، ولم تجر الأمور كما ينبغي، حيث حدثت حرب المحيط الهادئ، وساءت أوضاع مدينة شانغ خاي، فاضطر إلى العودة إلى مسقط رأسه (شاديان)، وكان سفره محفوفاً بالمشقات والأخطار، ثم استأنف ترجمته، وأتم مسودتها بعد زهاء ثلاث سنوات^(١).

ولما أعاد النظر في المسودة معدلاً ومنقحاً، وضع حواشي بين فيها ما يحتاج إلى البيان وللأسف الشديد أنه لم يتم وضع الحواشي على الترجمة لأسباب حصلت حينئذ، كحرب الاحتلال الياباني للصين، ثم اشتغاله بما كلف به في جامعة بكين وغيرها، بل توقف عند إنهاء ترجمة سورة الأنعام وتفسيرها، وطبع هذا الجزء من ترجمة معاني القرآن وتفسيره في مطبعة جامعة بكين عام ١٩٤٩م^(٢).

(١) ايوب، حسن محمد تبسيط العقائد الإسلامية، دار الندوة الجديدة، ط٥، بيروت، لبنان، ١٩٨٣، ص ٣٤

(٢) ايازي، محمد علي، المفسرون حياتهم ومنهجهم، ط١، مؤسسة الطباعة والنشر، طهران، إيران، ١٩٩٠، ص ٥٤

ولما أنشئت مجلة المسلمين التابعة للجمعية الإسلامية الصينية عام ١٩٥٧م، نشر محمد مكيين فيها ترجمة سورة الأعراف وتفسيرها إلى أن وصل إلى الآية التاسعة عشر من سورة الأنفال^(١).

ثم أعيدت طباعة هذا الجزء مضموماً إلى الجزء السابق، ويقع في ٢١٤ صفحة، ولكن تاريخ ومكان طباعته مجهولان، فأرى أنه من منشورات مطبعة أهلية غير مصرحة من قبل الحكومة^(٢). ذكر محمد مكيين في المقدمة فهرساً للسور حسب ترتيب المصحف وفهرساً للسور حسب زمن النزول، وتعريفاً موجزاً عن القرآن الكريم، وتحدث فيه عن بعض الموضوعات في علوم القرآن مثل نزول القرآن الكريم، ومراحل جمع القرآن الكريم، وتأثير القرآن الكريم على اللغة العربية وشهادة بعض العلماء الأوروبيين برفعة مكانة القرآن الكريم، ومما تكلم عنه موضوعات مهمة في خدمة القرآن الكريم^(٣).

كما ذكر محمد مكيين في المقدمة فهرس الموضوعات، حيث وضع لآية أو عدة آيات عنواناً يناسبها، ولكنه لم يذكر هذه العناوين في ثنايا المتن، ولم يشر إلى ما يقابلها من الآيات بذكر رقمها، مثلاً: أحوال المؤمنين والكفار، وأحوال المنافقين، وقصة آدم عليه السلام، ولعل ذلك قد سقط أثناء الطباعة^(٤).

وأما المصادر التي اعتمد عليها محمد مكيين في تفسيره، فذكرها في المقدمة، وهي تعم علم التفسير وعلوم القرآن، مثل: كتاب الإتيان في علوم القرآن، وأصول الفقه وقواعده، مثل كتاب تيسير الوصول للشيباني، والسيرة النبوية، مثل: السيرة النبوية لابن هشام، وعلم اللغة، مثل: كتاب مغني اللبيب لابن هشام وكتاب الطراز الأسرار البلاغة ليحيى بن حمزة، وغيرها من الكتب، أما كتب التفسير فبلغ عددها اثني عشر كتاباً، وأذكر هنا أهمها^(٥):

أولاً: جامع البيان لابن جرير الطبري الذي يمتاز بالتفسير الأثرية وبترجيحاته الأولى الأقوال عنده بالصواب.

(١) إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعْدُ وَلَنْ تُغْنِي عَنْكُمْ فِتْنَتُكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ (١٩) [الأنفال: ١٩].

(٢) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، ط٣، دار القلم بدمشق، ٢٠٠٨، ص ٥٦

(٣) المصدر نفسه، ص ٥٩

(٤) ينظر ما، محمد مكيين، مقدمة لترجمة الأجزاء التسعة الأولى وتفسيرها، ص ٢-٣؛ ولين سونغ، القرآن الكريم في الصين، ص: ١٣٣ - ١٣٥؛ ولي جين جونغ، ترجمة الأستاذ محمد مكيين، ص: ٢٦١-١٦٣..

(٥) السلمي، دلال كويران، التجديد في التفسير في العصر الحديث، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة، السعودية، ٢٠١٤، ص ٣٤

ثانيا: تفسير الكشاف للزمخشري الذي يمتاز بذوقه البياني في الأسلوب القرآني وتطبيقه فنون البلاغة على آيات القرآن.

ثالثا: التفسير الكبير لفخر الدين الرازي الذي يمتاز ببحوثه في العلوم الكونية والعلوم الكلامية.

رابعا: تفسير القرآن العظيم لابن كثير الذي يمتاز بعنايته بالمأثور وتجنبه للأقوال الباطلة والروايات المنكرة.

خامسا: روح المعاني للألوسي الذي جمع فيه صاحبه خلاصة علم المتقدمين في التفسير.

سادسا: تفسير المنار لمحمد رشيد رضا الذي يمتاز ببيان هداية القرآن واهتمامه بإصلاح المشاكل الاجتماعية.

وكذلك رجع إلى عدة تراجم باللغة الإنجليزية منها ترجمة القرآن لمحمد علي، و ترجمة القرآن لعبد الله يوسف علي، و ترجمة القرآن لجورج سيل، و ترجمة القرآن لرودويل.

يتبين من خلال هذه المصادر القيمة العلمية لهذا التفسير، ومكانة صاحبه العلمية، وسعة اطلاعه، وسأنقل هنا نماذج منه، مع التعليق المقتضب عليها؛ لعلها تعطي القارئ صورة سريعة له، ومما يلاحظ أن محمد مكين لم يذكر الآيات بنصها العربي، وإنما ذكر معانيها المترجمة إلى اللغة الصينية، فالآيات في النماذج بموضع معانيها المترجمة في تفسيره.

النموذج الأول: عند تفسير قوله تعالى ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردةً حسين (البقرة: ٦٥) قال:

[٤] روى ابن جرير وابن أبي حاتم عن مجاهد أنه ما مسخت صورهم، ولكن مسخت قلوبهم، فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا [الجمعة: ٥]، وكانت العرب تضرب بها مثلا في الفجور، كقولهم فلان أفجر من القردة، ووردت في التوراة نصوص كثيرة تدل على أن اليهود مسخت قردة بمعناها في مثل العرب، ورد في حزقيال: « يحتقرون أمكنتي المقدسة ويدنسون يوم السبت، رجال نميمة يسفكون الدم البريء فيك، وآخرون يأكلون على الجبال من ذبائح الأصنام وآخرون يرتكبون الفجور، فيك من يكشف عورة أبيه، وفيك من ينام مع امرأة متنجسة بطمئها، وبعضهم يزني مع امرأة قريبه وبعضهم مع كنته وآخر مع أخته وبنت أبيه، فيك تؤخذ الرشوة لسفك الدم، وأنت تأخذين الربا والربح الفاحش، وتبتزين من قريبك ماله وتنسينني، يقول السيد الرب. » - ٢٢: ٨-١٢ من حزقيال. »^(١).

(١) ما، محمد مكين، ترجمة الأجزاء التسعة الأولى مع تفسيرها، ص ٩.

وقال عند تفسير قوله تعالى (قُلْ هَلْ أَنْبِئُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَلِكُمْ مَثُوبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطُّغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ٦٠) [المائدة: ٦٠]:

[٢] إن جمهور المفسرين على أن معنى ذلك أن صورهم مسخت، فكانوا قردة وخنازير حقيقة المقصود الحقيقي أنهم مسخوا في طبيعتهم ونزواتهم، وكان مجاهد على هذا الرأي، ومما يدل على صحة هذا الرأي السياق، أي لو أنهم مسخوا قردة وخنازير حقيقة، لا يحسن أن يأتي بعد هذه الآية قوله تعالى أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ، ولا قوله وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا ءَأَمِنَّا [المائدة: ٦١].^(١)

تبين مما تقدم أن محمد مكيين وقف من مسخ اليهود قردة موقفا يخالف جمهور المفسرين حيث أولها على أنها مجاز، أي أنهم مسخوا مسخا معنويا نفسيا لا حسيا صوريا، واستند في ذلك إلى رأي مجاهد، ودافع عنه. وأرى أن ما حملة على هذا الرأي الاستبعاد العقلي وتأثره بمدرسة المنار، وهذا الرأي شاذ مردود لسببين^(٢)

الأول: أنه خالف ظاهر الآية، وهو أن الله تعالى مسخهم قردة على الحقيقة، قال الطبري بعد ذكر رأي مجاهد: هذا القول الذي قاله مجاهد قول لظاهر ما دل عليه كتاب الله مخالف، وذلك أن الله أخبر في كتابه أنه جعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت، كما أخبر عنهم أنهم قالوا لنبيهم: (فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً) [النساء: ١٥٣]، وأن الله تعالى ذكره أصعقهم عند مسألتهم ذلك ربهم، وأنهم عبدوا العجل، فجعل توبتهم قتل أنفسهم، وأنهم أمروا بدخول الأرض المقدسة فقالوا لنبيهم: (فَأَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَهُنَا قُعْدُونَ) [المائدة: ٢٤] فابتلاهم بالتيه..... هذا مع خلاف قول مجاهد قول جميع الحجة التي لا يجوز عليها الخطأ والكذب فيما نقلته مجمعة عليه، وكفى دليلا على فساد قول، إجماعها على تخطئته^(٣).

الثاني: أنه خالف قول النبي صلى الله عليه وسلم، حيث قال فيما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه فقال رجل يا رسول الله القردة والخنازير هي مما مسخ ؟ فقال النبي صلى الله عليه

(١) ما، محمد مكيين، ترجمة الأجزاء التسعة الأولى مع تفسيرها، ص: ١٤٢.

(٢) السلمي، دلال كويران، التجديد في التفسير في العصر الحديث، مصدر سابق، ص ٣٤.

(٣) الطبري، ابن جرير (ت ٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، ط: ١، مؤسسة الرسالة بيروت، ٢٤ جزء، التحقيق أحمد شاكر، العام ٢٠٠٠م، ج ٢، ص ١٧٣، وانظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، دار طيبة للنشر بالقاهرة، ٨ أجزاء، التحقيق سامي بن محمد العام ١٩٩٩م، ج ١، ص ٢٨٩-٢٩١.

وسلم: «إن الله عز وجل لم يهلك قوماً أو يعذب قوماً، فيجعل لهم نسلاً، وإن القردة والخنازير كانوا قبل ذلك،»^(١) والحديث يفيد أن المسخ وقع على اليهود حقيقة، كما يفيد أن القردة اليوم ليست من نسلهم؛ لأن الله أهلكهم ولم يبقهم يتناسلون.

النموذج الثاني: عند تفسير الآية ويستلونها عن الشهر الحرام قتال فيه قتل كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطعوا [البقرة: ٢١٧] قال:

[٢] كانت العرب في الجاهلية تعظم ذا القعدة وذا الحجة والمحرم ورجب، وتسميها الأشهر الحرم، وتحرم فيها القتال، والإسلام أقر كل ما يعود على الإنسان والمجتمع بالخير والمصلحة من عادات الجاهلية، فأقر حرمة هذه الأشهر لما فيها من المصالح، وحرّم فيها القتال، وإن انتهك العدو حرمة الأشهر الحرم والبلد الحرام، أجاز الإسلام للمسلمين أن يردوا عليهم^(٢).

ثم ذكر سبب نزول الآية: ([٣] إن رسول الله ﷺ لما رجع من معركة بدر إلى المدينة، بعث عبد الله بن جحش على سرية، وكانوا ثمانية نفر، وأمرهم بالسير إلى بطن نخلة، ليرصدوا عيرا لقريش، ولم يأمرهم بالقتال، ولما رأوا عير قريش، قتلوا واحداً منهم وأسروا اثنين واستاقوا العير بما فيها من تجارة إلى المدينة، فقال رسول الله ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرام، فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام، شهراً يأمن فيه الخائف ويتفرق فيه الناس إلى معاشهم، فنزلت الآية^(٣)»

ثم بين معنى قوله تعالى وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ مع سرد ما وقع للصحابة رضوان الله عليهم من التعذيب، قال: [٤] وكان المشركون يفتنون المؤمنين بمختلف أنواع الإيذاء والتعذيب، فكان يأسر عذبه بالنار، يكوونه بها ليرجع عن الإسلام، حتى مات وهو على دين الإسلام، وزوجة يأسر سمية رضي الله عنهما عذبا أبو جهل عذاباً شديداً لتفتن في دينها، فلم تجبه لما سأل، ثم طعنها في فرجها بحربة فماتت، وكانت عجوزاً كبيرة، وكان أبو جهل يقول لها مع ذلك: ما أمنت بمحمد إلا أنك عشقتيه لجمالته، يؤذيها بالقول كما يؤذيها بالفعل؛ وكان عمار يلبسه مولاه درعا من الحديد في اليوم الصائف يعذبه بحره؛ وكان أمية بن خلف يعذب بلالا، كان يجيعه ويعطشه ليلة ويوماً، ثم يطرحه على ظهره في الرمضاء، ويقول له: لا تزال هكذا حتى تموت أو

(١) أخرج الحديث الإمام مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب بيان أن الأجل والأرزاق وغيرها لا تزيد ولا تنقص عما سبق به القدر، رقم: ٢٦٦٣.

(٢) ما، محمد مكي، ترجمة الأجزاء التسعة الأولى مع تفسيرها، ص: ٣٧.

(٣) ما، محمد مكي، ترجمة الأجزاء التسعة الأولى مع تفسيرها، ص: ٣٧.

تكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم، وتعبد اللات والعزى، فأبى ذلك، وهانت عليه نفسه في الله عز وجل، وكانوا يعطونه للولدان فيربطونه بحبل ويطوفون به في شعاب مكة، وهو يقول: (أحد، أحد)، وحكى خباب عن نفسه قائلاً: لقد رأيتني يوماً وقد أوقدت لي ناراً، ووضعوها على ظهري، فما أطفأها إلا ودك ظهري. فهذه نماذج من فتنة المشركين للمستضعفين من المسلمين، والمقصود من قوله (وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ).^(١)

ثم بين طبيعة القتال في الإسلام، قال [١] تبين من هذه الآية أن قتال المسلمين الدفاع عن أنفسهم وحماية عقيدتهم، لا لنشر الإسلام بالقوة والسلاح.^(٢)

هكذا كان تفسير محمد مكيين لم يتعرض للمسائل اللغوية، وانحصر على بيان معاني الآيات وهداياتها وما يتعلق بها من القصص، واحتكم إلى العقل في بيان معاني بعض الآيات المتحدثة عن المعجزات، بحيث خالف رأي جمهور المفسرين، كما جاء في المثال، واستند إلى كتب الصحاح في بيان ما يتعلق بالآيات من القصص.

(١) ما، محمد مكيين، ترجمة الأجزاء التسعة الأولى مع تفسيرها، ص: ٣٧.

(٢) ما، محمد مكيين، ترجمة الأجزاء التسعة الأولى مع تفسيرها، ص: ٣٨.

المبحث الثاني

منهج محمد مكيين في التفسير

محمد مكيين لم يفسر القرآن لفظاً لفظاً وآية آية، إنما عمد إلى بعض المصطلحات والأعلام والآيات، فوضح معانيها وما يتعلق بها من أسباب النزول والقصص، وبين ما تتضمنه من الأحكام والإرشادات واهتم بتنزيلها على أوضاع المسلمين في الصين في ذلك العصر. اهتم محمد مكيين بتفسير القرآن بالقرآن، حيث ذكر الآيات التي تدل على المعنى المراد من الآية التي هو بصدد تفسيرها أو تأييدها، أو الآيات التي تدور حول موضوع واحد، أو التي يشبه بعضها بعضاً، ولكنه ذكرها بالإشارة إلى رقمها وسورتها دون ذكرها بنصها، كما اهتم بتفسير القرآن بالسنة^(١).

وأمثلة تفسير القرآن بالقرآن في تفسيره كثيرة، منها: قوله عند تفسير الآية (صِرْطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ [٣] غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿الفاتحة﴾): ينظر إلى الآية التاسعة والستين من سورة النساء^(٢)، ينظر إلى الآية الحادية والستين من سورة البقرة^(٣) والآية الثانية عشرة بعد المائة من سورة آل عمران^(٤)، ينظر إلى الآية السابعة والسبعين من سورة المائدة^(٥) (٦).

وقوله عند تفسير الآية الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَ (٣) كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ [البقرة: ١٤٦]: « [٣] ينظر إلى الآية السابعة والخمسين بعد المائة

(١) انظر ما، محمد مكيين، مقدمة لترجمة الأجزاء التسعة الأولى مع تفسيرها، ص ٢.
(٢) وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا (٦) [النساء: ٦٩].

(٣) وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٦١) [البقرة: ٦١]

(٤) ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَفَقُّوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (١١٢) [آل عمران: ١١٢].

(٥) قل يا أهل الكتب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأصلوا كثيراً وصلوا عن سواء السبيل (٧٧) [المائدة: ٧٧].

(٦) ما، محمد مكيين، ترجمة الأجزاء التسعة الأولى مع تفسيرها، ص: ١.

من سورة الأعراف « (١) (٢) »

هذا أسلوب محمد مكيين في تفسير القرآن بالقرآن، مجرد الإحالة إلى الآيات التي تبين مراد الآية المفسرة، أو إلى الآيات التي يجمعها موضوع واحد، دون تعليق ولو بكلمة واحدة، ويا ليتة ذكرها بنصها مع بيان العلاقة بين الآيتين من تخصيص العام أو توضيح المجمل أو تقييد المطلق أو غيرها، ولو فعله لكان أفضل للقراء في الصين. ومن الأمثلة على تفسير القرآن بالسنة:

قوله عند تفسير الآية وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ [آل عمران: ٦٤]

[٣] المراد بقوله تعالى ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا﴾ طاعة الأتباع رؤساءهم فيما أمرهم به وما نهوهم عنه، وروى بسند صحيح أن عدي بن حاتم قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: يا عدي اطرح هذا الوثن من عنقك، وسمعتة يقرأ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَنَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ [التوبة: ٣١] حتى فرغ منها، فقلت: إنا لسنا نعبدهم، فقال: « أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتستحلونه؟ قلت: بلى، واليهود يعبدون الله تعالى، ولكنهم جعلوا أقوال أحبارهم بمثابة كتاب الله تعالى لا تجوز مخالفتها، والنصارى زادوا على ذلك أن رهبانهم تملك سلطة المغفرة، فالكنائس تجمع أموال الناس لبيع المغفرة، مما أدى إلى الثورة عليها، ومن المسلمين في الصين اليوم من يعظمون شيخا، ويدعونه حيا أو ميتا، وهذا يدخل في اتخاذ بعضهم بعضا أربابا، والفارق بينهم وبين المشركين اسم فقط (٣) (٤) ».

وقوله عند تفسير الآية (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [الأعراف: ١٨٠]: (الأسماء الحسنى) أي الأسماء التي تدل على أكمل الصفات وتجدها في كل سورة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله تسعا وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة، وهو وتر، يحب الوتر (٥) ودعوة الله بأسمائه الحسنى تقتضي من الإنسان أن يذكره دائما ويتعلم صفاته حتى يجعل نفسه

(١) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧) [الأعراف: ١٥٧].

(٢) ما، محمد مكيين، ترجمة الأجزاء التسعة الأولى مع تفسيرها، ص: ٢٣.

(٣) أخرج الحديث في الجامع الصحيح للسنن والأسانيد، كتاب التفسير.

(٤) ما، محمد مكيين، ترجمة الأجزاء التسعة الأولى مع تفسيرها، ص: ٦٩-٧٠.

(٥) أخرج الحديث في صحيحه، كتاب الشروط، برقم: ٢٧٣٦.

على صفات جميلة. (١)

من خلال مما تقدم اتضح مدى اهتمام محمد مكين بأحسن طرق التفسير، حيث اعتمد عليه اعتمادا واضحا، ففسر القرآن بالقرآن أو بالمروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم من الأحاديث ولكنه لم يعط أقوال الصحابة والتابعين ما تستحقه من الاهتمام، حيث لم يذكرها إلا عند بيان مسخ اليهود قرده، ذكر قول مجاهد ودافع عنه، ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن محمد مكين لم يبين تفسيره كله على هذا الأساس، وإنما اعتمد عليه في تفسير بعض الآيات، وأما في تفسير بعضها الآخر، فاعتمد على أسس أخرى، يمكن إجمالها على النحو الآتي:

أولا : تفسير القرآن بنصوص الكتاب المقدس

استفاد محمد مكين من نصوص الكتاب المقدس في تفسيره، حيث ذكرها بنصها من الكتاب المقدس مع الإشارة إلى موضعها فيه في كثير من الأحيان، وذلك لبيان معاني الآيات، أو تفصيل قصة من قصص الأنبياء، أو تعيين المبهمات، والأمثلة على ذلك كثيرة، منها أنه ذكر نصا من سفر التثنية لبيان مراد الله تعالى من العهد في قوله (يُبْنِي إِسْرَعِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْحَبُكُمْ ٤٠) [البقرة: ٤٠]، فقال:

لبيان مراد العهد في الآية يمكن الرجوع إلى سفر التثنية، حيث ورد فيه ما نصه: «وفي هذا اليوم أعلنتم أن يكون الرب إلهكم، فتسلخوا في طرقة، وتحافظوا على فرائضه ووصاياه وأحكامه، وتسمعوا كلامه، والرب اختاركم في هذا اليوم لتكونوا من نصيبه كما قال لكم، فتعملوا بجميع وصاياه، ليجعلكم فوق جميع الأمم التي خلقها للتهليل له وذكر اسمه وتمجيده، ولتكونوا شعبا مكرسا له. (٢)»

وذكر عند تفسير الآية وَاَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِي عَادَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ [المائدة: ٢٧] نصا من سفر التكوين لبيان قصة ابني آدم حيث قال:

المقصود من نَبَأَ ابْنِي عَادَ قصة قابيل وهايل وهي وردت في سفر التكوين: «ومرت الأيام فقدم قايين من ثمر الأرض تقدمة للرب، وقدم هابيل أيضا من أبكار غنمه ومن سمانها، فنظر الرب برضى إلى هابيل وتقدمته، أما إلى قايين وتقدمته فما نظر برضى، فغضب قايين جدا وعبس وجهه.. (٣)».

(١) ما، محمد مكين، ترجمة الأجزاء التسعة الأولى مع تفسيرها، ص: ٢٠٦.

(٢) ما، محمد مكين، ترجمة الأجزاء التسعة الأولى مع تفسيرها، ص: ٦٠٥.

(٣) ما، محمد مكين، ترجمة الأجزاء التسعة الأولى مع تفسيرها، ص: ١٣٧.

وذكر عند تفسير الآية ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ غَايَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ وَالَ مُوسَىٰ وَعَالٌ هُزُونٌ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٨] نصا من سفر التكوين لبيان أوصاف التابوت، ونصه:

تصنع تابوتا من خشب السنط طوله ذراعان ونصف، وعرضه ذراع ونصف، وسمكه ذراع ونصف، فتغشيه بذهب خالص من داخل ومن خارج، وتصنع عليه حلية من ذهب تحيط به وتصوغ له أربع حلقات من ذهب وتجعلها على أربع قوائم حلقيتين من جانبه الواحد وحلقتين من جانبه الآخر، وتصنع قضيبين من خشب السنط وتغشيهما بذهب وتجعل الغطاء على التابوت من فوق، وفي التابوت تضع لוחي الوصايا التي أعطيتك^(١).

هذه الرواية ومثلها لا تجوز روايتها، وإن كانت لم تتعارض مع القرآن وصحيح السنة؛ لأنه لو كان فيها فائدة، لأتى بها القرآن الكريم، ولذلك إن الوقوف عند ما وقف عنده القرآن أولى في مثل المبهم المذكور في هذه الآية.

ثانيا: الاهتمام ببيان حكمة التشريع

يسيء غير المسلمين في الصين في أكثر الأحيان فهم بعض الأحكام الشرعية، كتحريم لحم الخنزير والحجاب، فيتكلمون فيها كلاما يسيء إلى عقيدة المسلمين ويجرح مشاعرهم، وقد أدى ذلك إلى النزاعات بينهم وبين المسلمين.

ولإزالة هذه النزاعات كان من الأولى بيان حكمة تشريع هذه الأحكام بيانا علميا مقنعا، ولأجل هذه المهمة فقد اهتم محمد مكيين في تفسيره ببيان حكمة التشريع، إذ حصل في ذلك الزمان ما يحصل اليوم.

قال محمد مكيين حصل بين المسلمين وغير المسلمين نزاعات ومشاجرات يرجع سببها إلى مسألة لحم الخنزير، مما أثر على التضامن والتعاون بينهم تأثيرا سيئا. ^(٢)

ثم قال: يسخر بعض الموظفين من الموظفين والعمال من المسلمين لعدم أكل لحم الخنزير، ويقولون إنهم على خرافات وتخلف فكري، بحيث لا يتمكن المسلمون أن يلبثوا في وظائفهم، وينتهي الأمر إلى استقالتهم مضطرين... ولتوطيد العلاقة التعاونية بين المسلمين وغير المسلمين لا بد من بيان هذه المسألة. ^(٣)

(١) ما، محمد مكيين، ترجمة الأجزاء التسعة الأولى مع تفسيرها، ص: ٤٩.

(٢) ما، محمد مكيين، سيف محمد ص ٢١.

(٣) ما، محمد مكيين، سيف محمد، ص: ٢٨.

وفيما يلي بعض الأمثلة على ما قاله في بيان حكمة التشريع لبعض الأحكام الشرعية

المثال الأول: في بيان الحكمة من تحريم لحم الخنزير

قال عند تفسير الآية ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣]:

لحم الخنزير محرم في اليهودية، قال سفر اللاويين والخنزير لأنه مشقوق الظفر ولكنه لا يجتر، ومن لحمها لا تأكلوا ولا تمسوها ميتة، فهي نجسة لكم، هذا مما اتفقت فيه مع الإسلام ولكنها حرمة تحريماً مطلقاً، وأباحه الإسلام في الحالات الضرورية، هذا من سماحته ويسره، وهناك أطعمة محرمة في اليهودية وهي حلال في الإسلام، ولمعرفتها ينظر إلى الآية السادسة والأربعين بعد المائة من سورة المائدة، واليهود تكره الخنزير، وعيسى عليه السلام منهم، فيجب أن يكرهه؛ لأنه جاء لإتمام الشريعة اليهودية، فلا يمكن أن يخالفها. ^(١) حرم الإسلام لحم الخنزير؛ لأنه أسوأ الحيوانات نظافة، ويكنس كل الأشياء خلاف الأنعام تأكل باختيار، فيحمل الأمراض الكثيرة، كمرض الديدان الشعرية الحلزونية، وهي من أخطر الطفيليات، إن انتقلت إلى جسم الأكل، يتسبب في إصابته بالسموم، فيحدث له قيء وإسهال، وقد يؤدي به كالوباء، ولحم الخنزير الذي يحمل هذه الدودة يتعذر تعقيمه، فإن سلق أو شوي مدة قصيرة، فلا يصلح للأكل، وإن كان يحمل كثيراً من هذه الديدان بحيث أصبح مسموماً، فلا يكون صحياً ولو عولج بالتعقيم؛ لأنه مسموم قبل موته، وكذلك لحم الخنزير يحمل الدودة الشريطية، وبوليستر، وبكتيريا القولون. ^(٢)

وقال عند تفسير الآية (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ).

(المائدة: ٣): الإسلام يهتم بالنظافة والصحة اهتماماً فائقاً، فأحل كل ما كان صحياً طيباً، وحرم ما كان غير نظيف، وإنما حرم الإسلام الميتة والدم ولحم الخنزير لعدم نظافتها، لا غيرها مما يفترى عليه من الأكاذيب، لعل الصين أكثر الدول في العالم عدداً من الخنزير، فوضع سلف الصينيين للبيت كلمة ^(٣)، أي كل بيت يحتوي على الخنزير، فاستغرب جمهور الصينيين من

(١) وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (١٤٦) [الأنعام: ١٤٦].

(٢) ينظر ما، محمد مكي، ترجمة الأجزاء التسعة الأولى مع تفسيرها، ص: ٢٦-٢٧، بتصرف.

(٣) هذه الكلمة الصينية تتكون من مقطعين، معناه الوضعي بيت أو منزل ومعناه خنزير، أي كلمة (بمعنى البيت).

تحريم لحم الخنزير عند المسلمين حتى بعض العلماء نسجوا لسبب تحريمه قصصا يسخرون بها من المسلمين، مما أدى إلى النزاعات بينهم، وهذا الأمر يبدو غير مهم، ولكنه يؤثر على المعاشية الطبية بين القوميات المختلفة في الصين تأثيرا سيئا، فلذلك سأسوق أقوال الأطباء القدامى في الصين في شأن لحم الخنزير، ورد في كتاب الطب المصنف أن لحم الخنزير يؤدي إلى انسداد شرايين الأكل والوهن في العظم والضعف في العضلات، فلا يمكن أكلها دائما، وخصوصا المرضى والمصاب بالقرحة؛ وقال سون سي مياو^(١): «أكل لحم الخنزير بشكل دائم يضر بالحيوانات المنوية، ويؤدي إلى انتكاس الأمراض القديمة والوجع والفتور في الجسم كله، وأكل لحم خنزير البحر دائما يتسبب في البدانة؛ وقال لي شي جين^(٢): «لحم الخنزير يحمل السموم، لا سيما لحم رأسه، فإن أكله المرضى يصبه بمرض آخر، وتنتكس الأمراض القديمة؛ وقال خان ماو^(٣): «كل لحم ينفع الجسم إلا لحم الخنزير، وإن أكله الإنسان بدوام فسيتغير طبعه...»^(٤)

قلت مما تقدم يتضح أن محمد مكيين بين سبب تحريم لحم الخنزير في الإسلام من الناحية العلمية الصحية مستدلا بأقوال الأطباء القدامى المشهورين المحترمين عند غير المسلمين؛ بغية إثبات أن الأحكام الشرعية في الإسلام مبنية على حكمة بالغة، وأسس علمية صحيحة، لا على الخرافات كما يزعم غير المسلمين، وسعى لإزالة النزاعات التي حدثت نتيجة سوء الفهم؛ ليتحقق في المجتمع الصيني الاحترام المتبادل والتفاهم بين القوميات المختلفة أديانهم، فلذلك اهتم ببيان حكمة التشريع في بعض الأحكام.

المثال الثاني: في بيان الحكمة من تشريع الصيام
قال عند تفسير الآية (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [البقرة: ١٨٣]

الصيام في الإسلام إمساك عن الطعام والشراب والنكاح من طلوع الفجر إلى غروب الشمس لا في أوقات الليل، ومن فوائد الصيام تربية الإنسان على الصبر، وصلاح السلوك، والانتظام فالذي يقدر على حبس نفسه عن الحلال من الطعام والشراب والنكاح قادر على حبس نفسه عن الحرام من الغش والزنى وغيرهما، وقوله تعالى: لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ بين مقاصد الصيام، وبين ثمرته

(١) هو طبيب في عهد أسرة تانغ، واشتهر بملك الأطباء، وتوفي ٦٨٢ م.

(٢) هو طبيب مشهور في عهد أسرة مينغ، وله كتاب في الطب يعتمد عليه الأطباء اليوم.

(٣) هو طبيب في عهد أسرة مينغ، له مؤلفات في الطب.

(٤) ينظر ما، محمد مكيين، ترجمة الأجزاء التسعة الأولى مع تفسيرها، ص: ١٣٠-١٣١، بتصرف.

قوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ١٨٨﴾ [البقرة: ١٨٨]؛ ومن فوائده أنه يساوي بين الغني والفقير في الامتناع عن الطعام والشراب؛ حتى يعيش شعور الفقير، فيثير عاطفة الرحمة في قلبه، ولذلك فرض على الذي لا يستطيع الصيام من الأغنياء فدية، أن يطعم عن كل يوم أفطر فيه مسكينا، وإن زاد على القدر المفروض كان خيرا له، كما أنه يعلم الإنسان الانتظام والطاعة والصبر والقناعة وحبس الشهوات والجود والكرم؛ ومن فوائده التي أثبتتها الدراسات الطبية الوقاية من كثير من الأمراض، كالبدانة وضغط الدم ومرض السكري والتهاب الكلى وأمراض القلب والتهاب المفاصل. وكلما تقدمت الحضارة والمدنية، ينتشر مثل هذه الأمراض بين الناس، فيصاب الأوروبيون اليوم بها أكثر مما كانوا، ويكاد ضغط الدم ومرض السكر يصحان من اختصاص الفئات الوسطى والعليا، ولا نصيب للفقراء منها، وأولى الإسلام الصيام اهتماما أكثر من الديانات الأخرى، ولعل ذلك لأن الإسلام كان آخر ديانة سماوية، والحضارة الإنسانية أخذت في التقدم لما جاء، فلا بد من الوقاية من هذه الأمراض التي كلما تقدمت الحضارة يكثر حصولها»^(١)

قلت: مما تقدم نقله يتضح أن محمد مكين كان مدرگا لحجم التشكيك الذي صنعه غير المسلمين في طريق التزامهم بالصيام، فجاء بهذه الأدلة المقنعة، والدافعة لتلك الافتراءات من جميع الجهات.

ثالثا: صرف ظاهر الآيات إلى معان أخر باعتبارها من المجاز

صرف محمد مكين ظاهر بعض الآيات - التي يبدو غريبا عنده - إلى معان تخالف ظاهرها باعتبارها من قبل التعبيرات المجازية أو التمثيلية.

ومن أمثلة ذلك قوله عند تفسير الآية (فَقُلْنَا أَصْرِبُوهُ بَعْضُهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ عَايَتَهُ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) [البقرة: ٧٣]:

مراد قوله (فَقُلْنَا أَصْرِبُوهُ بَعْضُهَا) اضربوا المشتبه فيه بالقتل بيد الميت أو رجله، ومراد قوله (وَكَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى) حفظ دماء جمهور الناس، وكثيرا ما يستعمل مثل هذا التعبير المجازي في القرآن، كقوله تعالى (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٧٩) [البقرة: ١٧٩]، وقوله (وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا) [المائدة: ٣٢].^(٢)

قلت وكان الأولى به أن يجري الآيات على ظاهرها، بحيث يكون الضمير في (بعضها) عائدا على البقرة، وإلا لما كان للأمر بذبحها فائدة، وأن يجعل الإحياء حقيقيا، بحيث تعود الحياة

(١) ينظر: ما، محمد مكين، ترجمة الأجزاء التسعة الأولى مع تفسيرها، ص: ٢٩ - ٣٠، بتصرف.

(٢) ما، محمد مكين، ترجمة الأجزاء التسعة الأولى مع تفسيرها، ص: ١١.

لهذا المقتول، فيخبر عن الذي قتله، ثم يعود ميتا، وهو ما جاءت الآيات لتؤكدده، وتضيف حكمة أخرى: أن الله تعالى يري عباده كيفية إحياء الموتى، حتى يعقلوا أوامره^(١).

ومنها قوله في تفسير الآية ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ عَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ تَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [النساء: ٤٧] قوله (نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدُّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا) من التعبيرات المجازية، والمراد أننا سنذهب بوجاهة رؤسائهم وكبارهم بحيث أصبحوا ممن ليس لهم تعظيم واحترام من قبل الناس. ^(٢)

قلت: معنى الآية: من قبل أن نطمس أبصارها ونمحو آثارها فنسويها كالأقفاء، وهذا ما اختاره الإمام الطبري، وقول محمد مكين له أصل من التفسير، حيث قال الإمام الزمخشري: ووجه آخر وهو أن يراد بالطمس القلب والتغيير، كما طمس أموال القبط فقلبها حجارة وبالوجوه رؤسائهم ووجهاؤهم أي من قبل أن نغير أحوال وجهائهم فنسلبهم إقبالهم ووجاهتهم، ونكسوهم صغارهم وإدبارهم أو نردهم إلى حيث جاءوا منه ^(٣)، ولكنه ضعف بأنه لا يساعده مقام

تشديد الوعيد وتعميم التهديد للجميع^(٤)، ومع ذلك أثره محمد مكين على غيره باعتباره من التعبيرات المجازية، وذلك يشير إلى المبدأ الذي انطلق منه في تفسيره، وهو فيما أرى الرغبة في إرضاء العقل.

ومنها قوله في تفسير الآية ﴿وَإِذْ عَلَّمْنَاكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي﴾ (المائدة: ١١٠).

قوله (وتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي) من التعبيرات المجازية، حيث قال عيسى عليه السلام: (فسمع يسوع كلامهم، فأجاب: لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب، بل المرضى) (سفر متى، الفصل التاسع: ١٢)، وقال مجيبا على يوحنا (العميان يبصرون، والعرج يمشون، والبرص يطهرون الصم يسمعون، والموتى يقومون، والباكين يتلقون البشارة) (سفر متى الفصل الحادي عشر: ٥)

(١) انظر: الطبري، ابن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، ج ٢، ص ٢٣٢؛ أبو حيان، محمد بن يوسف (ت ٧٤٥هـ)، البحر المحيط في التفسير، ط: ١، دار الفكر بيروت التحقيق صدقي محمد جميل، العام ١٤٢٠هـ، ج ١، ص: ٤٢٠.

(٢) ما، محمد مكين، ترجمة الأجزاء التسعة الأولى مع تفسيرها، ص ١٠٥.

(٣) الطبري، ابن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، ج: ١٠، ص: ٤٤٣.

(٤) الزمخشري، محمود بن عمرو (ت ٥٣٨هـ)، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، ط: ٣، ٤ مجلدات، دار الكتاب العربي. بيروت العام ١٤٠٧هـ، ج ١، ص ٥١٩.

وهذه كلها من المجاز، لأن عيسى عليه السلام قال: (وأنا أحاطبهم بالأمثال لأنهم ينظرون فلا يبصرون، ويصغون فلا يسمعون ولا يفهمون، ففهم تتم نبوءة إشعيا ومهما سمعتم لا تفهمون ومهما نظرهم لا تبصرون...) (سفر متى الفصل الثالث عشرة: ١٣-١٥)، وكذلك قوله (وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِأَذْنِي) من التعبيرات المجازية، كآية الثانية والعشرين بعد المائة من سورة الأنعام^(١)؛ لأن كل نفس تذوق الموت مرة واحدة فقط^(٢).

حاول محمد مكين تفسير معجزات النبي عيسى عليه السلام تفسيراً يسلب منها صفة الإعجاز ويخضعها للعقل المادي الذي لا يقبل المعجزات وخوارق العادات معتمداً في صرف معاني الآيات عن حقيقتها على نصوص العهد الجديد الذي تعرض للتغيير والتحريف، ولا يُعرف صحيحها من سقيمها، فكيف حكمها في تفسير آيات القرآن الذي تكفل الله تعالى بحفظه، فقال: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) [الحجر: ٩]

رابعا: الاهتمام بربط الآيات بالواقع

نال واقع المسلمين في الصين بل واقع المجتمع الصيني اهتماما كبيرا من محمد مكين فتعرض عند تفسير بعض الآيات للمشاكل التي كانت حصلت بين المسلمين وغير المسلمين في الصين، وعالجها بما فهمه من هداية القرآن الكريم وإرشاده، فلذلك تحدث عن حكمة التشريع في بعض الأحكام - كما بينت سابقا - بما يحل النزاعات التي حدثت نتيجة لعدم فهم غير المسلمين للإسلام وتشريعه لهذه الأحكام، وتحدث عن مشكلات المسلمين أنفسهم، وأرشدهم إلى الحق والصواب.

قال عند تفسير الآية (أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَّعًا لَكُمْ وَالسِّيَّارَةُ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) [المائدة: ٩٦]:

إن لفظ البحر عام، ويشمل جميع المياه العذبة والمالحة سواء أكانت أنهاراً أم بحاراً، وأهل مصر يطلقونه اليوم على نهر النيل، قال الله تعالى ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذَبَ قُرَاتٍ سَائِغٍ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمَنْ كُلَّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ [فاطر: ١٢].^(٣)

(١) الألوسي، شهاب الدين (ت ١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ط: ١، ٣٠ مجلداً، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر بيروت، ج ٦، ص ٧٠.

(٢) أَوْ مَنْ كَانَ مُتِيًّا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [الأنعام: ١٢٢].

(٣) ما، محمد مكين، ترجمة الأجزاء التسعة الأولى مع تفسيرها، ص ١٥٤.

ثم جاء بآراء كبار الصحابة في صيد البحر وطعامه، قائلًا: «أما قوله تعالى ﴿أَحَلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَّعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾، فقال عمر رضي الله عنه في المراد بصيد البحر وطعامه: «صيده ما اصطيد وطعامه ما رمى به، وقال أبو بكر الطافى حلال، وقال ابن عباس: طعامه ميتته إلا ما قدرت منها، والجري لا تأكله اليهود، ونحن نأكله»^(١).

ثم أورد الاختلاف في جواز أكل بعض حيوانات البحر، فقال: «اختلف العلماء في حيوانات البحر على ثلاثة أقوال أولها: حيوانات البحر جائز أكلها عدا الضفادع هذا قول أبي بكر وعمر وابن عباس رضي الله عنهم، والثاني: حيوانات البحر كلها جائز أكلها بما فيها الضفادع، قاله الإمام مالك، والثالث حيوانات البحر لا يجوز أكلها عدا السمك، والطاقى منه غير جائز، قاله الإمام أبو حنيفة»^(٢).

ثم قال معقبا على هذه المسألة (إن حيوانات البحر كالجمبري وخيار البحر في لسان العرب من نوع السمك، وليس منه في لسان الصين والمسلمون في الصين على المذهب الحنفى، فلا يجوزون أكل الجمبري وخيار البحر، ولكن هذا الرأي ليس من الوجاهة في شيء؛ لأنه لا يجوز لأحد أن يجزم أن الإمام أبا حنيفة أفقه من أبي بكر وعمر ومالك من الصحابة الكرام والتابعين وأكثر منهم احتياطا، ولأن الله تعالى قال: ... (وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَ الَّذِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ) [الأعراف: ١٥٧]، والجمبري وخيار البحر من الطيبات، ولا يمكن مقارنتهما مع الطفيليات، وبناء على ذلك أقول: إن ما أحل الله في القرآن الكريم من الأطعمة إن تعافها نفسك، فلا بأس في ترك أكلها، ولكن لا يجوز لك أن تحرّمها، لأن الإحلال والتحرّم حق الله وحده»^(٣).

قلت: إن المسلمين في الصين بأغليبتهم الساحقة بل جميعهم على المذهب الحنفى، وتقليدهم للمذهب الحنفى يمكن وصفه بالتعصب الأعمى، بحيث رفضوا كثيرا من الأحاديث الصحيحة لمخالفتها للمذهب الحنفى في رأيهم، وقالوا إن كتاب الله والأحاديث المطهرة كأعشاب مسمومة ولا يمكن استخدامها إلا بعد معالجة الأئمة لها، فتمسكوا بأقوال الحنفية، ولو كانت مخالفة للكتاب والسنة، ولاحظ محمد مكي أن هذه الظاهرة السائدة التي حالت بين المسلمين بين هداية الكتاب والسنة، والتي تسببت في كثير من المشاكل بين المسلمين، لا بد لها من العلاج، فوصف لها وصفة قرآنية بإرشادهم إلى الرجوع إلى الكتاب والسنة وترك

(١) ما، محمد مكي، ترجمة الأجزاء التسعة الأولى مع تفسيرها، ص: ١٤٩.

(٢) ما، محمد مكي، ترجمة الأجزاء التسعة الأولى مع تفسيرها، ص: ١٥٠.

(٣) ما، محمد مكي، ترجمة الأجزاء التسعة الأولى مع تفسيرها، ص: ١٥٠.

التعصب والتقليد الأعمى.

وقال عند تفسير الآية (قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ [الأعراف: ١٨٨].

إن النبي صلى الله عليه وسلم ليس برجل فائق القدرة، حيث أمره الله تعالى في عدة آيات بإخبار الناس أنه من البشر، قال تعالى (وَقُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَحْدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ) (فصلت: ٦)، وأمره في هذه الآية بإخبار الناس أنه نذير وبشير لقوم يؤمنون، وكان يحث الناس على الخيرات ليجازوا عليها جزاء حسنا، وينذرهم من السيئات لئلا يعاقبوا عليها، فإنما كانت وظيفته بلاغهم ودعوتهم إلى الله، ولا يملك قدرة فائقة، وكذلك الأنبياء والرسل من قبله، وكلهم من عباد الله الكرام ومن البشر، وإنما أوحى إليهم من الله تعالى... فالقول إن الشيخ فلان أو الولي فلان يقدر على ما يخرج من قدرة البشر لا أصل له من الصحة. (١)

قلت: إن المسلمين في الصين بعدما مضى على دخول الإسلام فيها أكثر من ثلاثة عشر قرنا لم يستطيعوا أن يحافظوا على صفاء الإسلام، فأدخلوا فيه - بفعل التأثيرات الثقافية والسياسية - بعض البدع والخرافات المخالفة لعقيدتهم، كتعظيم الشيخ فلان أو الولي فلان، والاستعانة بهم، وغيرها، وأولى محمد مكين لهذه القضية اهتمامه، فتعرض لها عند تفسير بعض الآيات كما جاء في المثال، وأرشد المسلمين في الصين إلى العقيدة الصحيحة واتخاذ الموقف السليم ممن يتبعونهم من المشايخ والأولياء بما يوافق الكتاب والسنة، لا بالتقليد الأعمى.

(١) ما، محمد مكين، ترجمة الأجزاء التسعة الأولى مع تفسيرها، ص: ٢٠٧، بتصرف.

الخاتمة

أولاً: إن تفسير القرآن الكريم باللغة الصينية من أهم أساليب الدعوة إلى الله تعالى، ومن أقرب الطرق لنشر الإسلام بين أبناء المسلمين وغير المسلمين في الصين، ولذلك فعلى الطلبة من أبناء المسلمين الصينيين، وخاصة الذين يدرسون في تخصص علوم القرآن وتفسيره، يجب عليهم أن يعرفوا مسؤوليتهم تجاه القرآن الكريم والمسلمين في الصين حق المعرفة، وأن يدرسوا التفاسير باللغة الصينية دراسة علمية بتوجيهات المتخصصين من الأساتذة، بحيث يبينون ما فيها من الأفكار الباطلة الخطيرة على المسلمين، وأن يتعاونوا على إخراج تفسير سليم للقرآن الكريم باللغة الصينية، حتى يتعرف عامة الناس في الصين عن طريقه على هدايات القرآن وعظمة الإسلام.

ثانياً: التفاسير باللغة الصينية كانت جهوداً فردية، انطلقت من العلماء المسلمين الصينيين ممن يحب خدمة الإسلام والمسلمين في الصين أو ممن يضمن في صدره نيات سيئة، ولم تخضع لضوابط وأصول علمية دقيقة تنضبط بها، فكانت خطورة بعضها على المسلمين في الصين أكثر من منافعها، كتفسير محمد جوو، وتفسير إسماعيل جانغ، ولذلك فلا بد للجهود الفردية في تفسير القرآن من تحولها إلى جهود جماعية مؤسسية، يراقبها المتخصصون برعاية المؤسسات القرآنية بوضع شروط يجب تحقيقها فيمن يقوم بتفسير القرآن وقواعد علمية ملزمة تخضع لها الأعمال التفسيرية، ولذا أرجو من المؤسسات القرآنية أن تعطي هذا المجال من اهتمامها قسطاً يسيراً، حتى تكون الجهود التفسيرية من العلماء المسلمين الصينيين في المستقبل صحيحة وسليمة.

ثالثاً: تلقي التعلم الصحيح المنتظم مهم للغاية بالنسبة لمن يقوم بتفسير القرآن الكريم، إذ ظهرت أهميته على التفاسير باللغة الصينية، فعلى أساتذة الجامعات أن يعدوا أبناءهم الطلبة الصينيين إعداداً جيداً، حتى يصبحوا ممن يتحملون مهمة بيان معاني القرآن باللغة الصينية في المستقبل وهم على وفرة العلم وصحة المنهج وسلامة القصد، إذ قلة العلم تؤثر على من يقوم ببيان معاني القرآن فكراً ومنهجياً كما ظهر أثرها على تفسير خالد شي وتفسير إسماعيل جانغ وغيرهما، وكذلك يجب عليهم أن يحثوهم على اختيار موضوعات لرسالاتهم العلمية تتعلق بالدارسات في التفاسير باللغة الصينية بما يعطونهم تسهيلات مناسبة، إذ إنهم أولى بكتابتها، وأن يوجهوهم توجيهها قيماً في الدراسة، حتى تنال التفاسير باللغة الصينية قدراً كافياً من الدراسة والتقويم من قبل المتخصصين أو الجامعات.

المصادر

- ٠ ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، دار طيبة للنشر بالقاهرة، ٨ أجزاء، التحقيق سامي بن محمد العام ١٩٩٩م، ج ١.
- ٠ أبو حيان، محمد بن يوسف (ت ٧٤٥هـ)، البحر المحيط في التفسير، ط: ١، دار الفكر ببيروت التحقيق صدقي محمد جميل، العام ١٤٢٠هـ، ج ١.
- ٠ الألوسي، شهاب الدين (ت ١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ط: ١، ٣٠ مجلداً، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ببيروت، ج ٦.
- ٠ ايازي، محمد علي، المفسرون حياتهم ومنهجهم، ط ١، مؤسسة الطباعة والنشر، طهران، إيران، ١٩٩٠.
- ٠ ايوب، حسن محمد تبسيط العقائد الإسلامية، دار الندوة الجديدة، ط ٥، بيروت، لبنان، ١٩٨٣.
- ٠ الخالدي، صلاح عبد الفتاح، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، ط ٣، دار القلم بدمشق، ٢٠٠٨، ص ٥٦.
- ٠ الزمخشري، محمود بن عمرو (ت ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامص التنزيل، ط: ٣، ٤ مجلدات، دار الكتاب العربي. بيروت العام ١٤٠٧هـ، ج ١.
- ٠ السلمي، دلال كويران، التجديد في التفسير في العصر الحديث، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة، السعودية، ٢٠١٤.
- ٠ الطبري، ابن جرير (ت ٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، ط: ١، مؤسسة الرسالة ببيروت، ٢٤ جزءاً، التحقيق أحمد شاكر، العام ٢٠٠٠م، ج ٢.